سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

علاء عبد الوهاب

المركز العربي الحديث
١٠٣ ش الإمام على ميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة
ت ٢٧٠٦٠٤٨ فاكس ٢٧٤٦١٣٤ القاهرة

سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ

واسم أبى وقّاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة ، ويكنى أبا إسحاق ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

وكان لسعد بن أبى وقاص من الولد :

إسحاق الأكبر وبه كان يكنى ، وأم الحكم الكبرى وأمهما ابنة شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة .

وعمر قتله المختار ، ومحمد بن سعد قتل يوم دير الجماجم قتله الحجاج ، وحفصة وأم القاسم وأم كلثوم ، وأمهم ماوية بنت قيس بن معدى كرب بن أبى الكيسم بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية من كندة .

وعامر وإسحاق الأصغر وإسماعيل وأم عمران ، وأمهم أم عامر بنت عمرو بن عمرو بن كعب بن عمرو بن زرعة بن عبد الله ابن أبى جشم بن كعب بن عمرو بن بهراء .

وإبراهيم وموسى وأم الحكم الصغرى وأم عمرو وهند وأم الزبير وأم موسى ، وأمهم زبد ويزعم بنوها أنها ابنة الحارث بن يعمر ابن شراحبيل بن عبد عوف بن مالك بن جناب بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر

ابن وائل .

وعبد الله بن سعد ، وأمه سلمى من بنى تغلب بن وائل .

ومصعب بن سعد بن زهير بن تيم الله بن أسامة بن مالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل .

وعبد الله الأصغر وبجير واسمه عبد الرحمن وحميدة وأمهم أم هلال بنت ربيع بن مرىّ بن أوس بن حارثة بن لام ابن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان ابن حارثة بن خارجة بن سعد بن مذحج .

وعمير بن سعد الأكبر ، هلك قبل أبيه ، وحمنة ، وأمهما أم حكيم بنت قارظ من بنى كنانة حلفاء بنى زهرة .

وعمير الأصغر ، وعمر ، وعمران وأم عمرو وأم أيوب وأم إسحاق وأمهم سلمى بنت خصفة بن ثقف بن ربيعة من تيم اللآت ابن ثعلبة بن عكابة .

وصالح بن سعد كان نزل الحيرة لشر وقع بينه وبين أخيه عمر بن سعد ونزلها ولده ثم نزلوا رأس العين ، وأمه طيبة بنت عامر بن عتبة بن شراحيل بن عبد الله بن صابر بن مالك ابن الخزرج بن تيم الله من النمر بن قاسط .

وعثمان ورملة ، وأمهما أم حجير .

وعمرة وهى العمياء تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وأمها امرأة من سبى العرب .

وعائشة بنت سعد .

****

إسلام سعد :

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : ما أسلم رجل قبلى إلا رجل أسلم فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد أتى علىّ يوم وإنى لثلث الإسلام ، ولقد أسلمت يوم أسلمت وما فرض الله الصلوات .

وعن عائشة بنت سعد قالت : سمعت أبى يقول وأسلمت وأنا ابن سبع عشرة سنة .

وقالت عائشة بنت سعد : قال أبى : رأيت فى المنام قبل أن أسلم كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئاً ، إذ أضاء لى قمر فاتبعته فكأنى أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القمر ، فانظر إلى زيد بن حارثة وعلى بن أبى طالب وإلى أبى بكر الصديق وإنى أسألهم متى انتهيتم إلى هنا .

قالوا : الساعة . وبلغنى أن رسول الله ـ ﷺ ـ يدعو إلى الإسلام مستخفياً فلقيته فى شعب جياد وقد صلى العصر ، فأسلمت فما تقدمنى أحد إلا هم .

عن أبى عثمان أن سعداً قال : كنت براً بأمى ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ما هذا الدين الذى قد أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا ، أولا آكل ، ولا أشرب ، حتى أموت فتعير بى . فيقال : يا قاتل أمه . قلت : لا تفعلى يا أمه ، إنى لا أدع دينى هذا لشىء ، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب وليلة ، وأصبحت وقد جهدت ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين والله لو كان لك مئة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ماتركت دينى ، إن شئت فكلى أو لَا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت .

*****

أول من رمى بسهم فى سبيل الله :

عن قيس بن أبى حازم قال : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : والله إنى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله .

*****

جهاد سعد :

شهد سعد بدراً وأحداً وثبت يوم أحد مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين ولى الناس ، وشهد الخندق وخيبر وفتح مكة ، وكانت معه يومئذ إحدى رايات المهاجرين الثلاث .

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله .

عن عامر بن سعد قال : قال سعد : رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ ضحك يوم الخندق حتى بدت نواجذه كان رجل معه ترس ، وكان سعد رامياً ، فجعل يقول كذا يحوى بالترس ، ويغطى جبهته ، فنزع له سعد بسهم ، فلما رفع رأسه رماه فلم يخط هذه منه ، يعنى جبهته ، فانقلب وأشال برجله ، فضحك رسول الله من فعله ، حتى بدت نواجذه .

ومن مناقب سعد فى جهاده : أن فتح العراق كان على يدى سعد ، وهو كان مقدم الجيوش يوم وقعة القادسية ونصر الله دينه ، ونزل سعد بالمدائن ، ثم كان أمير الناس يوم جلولاء فكان النصر على يده واستأصل الله الأكاسرة .

****

دعاء النبى ـ ﷺ ـ لسعد :

عن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لسعد : « اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وحببه » وعند الترمذى وابن حبان عن سعد مرفوعاً : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » .

عن علىّ بن أبى طالب قال : ماسمعت رسول الله ـ ﷺ ـ

يفدى أحداً بأبويه إلا سعداً ، فإنى سمعته يقول يوم أحد : أرم سعد فداك أبى وأمى .

شجاعة سعد :

أخرج ابن عساكر عن الزهرى قال : بعث رسول الله ـ ﷺ ـ سرية فيها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه إلى جانب من الحجاز يدعىَ رابغ ، فانكفأ المشركون على المسلمين ، فجاءهم سعد بن أبى وقاص يومئذ بسهامه ، وكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وكان هذا أول قتال فى الإسلام وقال سعد ـ رضى الله عنه ـ فى رميه :

ألا هل أتى رسول الله أنى ... حميت صحابتى بصدور بغلى

أذود بها أوائلهم ذيادا ... بكل حنونة وبكل سهل

فما يعتدرام فى عدو ... بسهم يا رسول الله قبلى

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال : قتل سعد ـ رضى الله عنه ـ يوم أحد بسهم واحد ثلاثة ، رمى به فرد عليهم فرموا به ، فأخذه فرمى به سعد ـ رضى الله عنه ـ الثانية ، فقتل ، فرد عليهم فرمى به الثالثة ، فقتل ، فعجب الناس مما فعل سعد . فقال : إن النبى ـ ﷺ ـ أنبلنيه . قال : وجمع له رسول الله ـ ﷺ ـ أبويه .

أخرج البزار عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال :

كان سعد ـ رضى الله عنه ـ يقاتل مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم بدر قتال الفارس ، والراجل .

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : أرق رسول الله ـ ﷺ ـ ذات ليلة . فقال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة » قالت : فسمعنا صوت السلاح . فقال رسول الله : من هذا ؟ قال سعد : أنا يا رسول الله جئت أحرسك . فنام رسول الله ـ ﷺ ـ حتى سمعت غطيطه .

****

ترغيب سعد على الجهاد :

أخرج ابن جرير الطبرى (٣ / ٤٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وزياد ـ رضى الله عنهم ـ بإسنادهم قالوا : خطب سعد يوم القادسية فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك وليس لقوله خلف . قال الله جل ثناؤه : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم

وقد جاءكم منهم هذاالجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم ، فإن تزهدوا فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم .

****

أخلاق سعد :

أخذ سعد بن أبى وقاص أخلاقه كلها من رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقد أوجز عمرو بن معد يكرب لعمر بن الخطاب أخلاق سعد فقال عنه : متواضع فى خبائه (أى بيته) عربى فى نمرته ، أسد فى تاموره (عرينه) ، يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد عن السرية ، ويعطف علينا عطف الأم البرة ، وينقل إلينا حقنا .

****

جوع سعد :

أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ٩٣) عن سعد ـ رضى الله عنه ـ قال : كنا قوما يصيبنا ظلف [1] العيش بمكة مع رسول الله ـ ﷺ ـ وشدته ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك

(١) أى بؤسه وشدته وخشونته .

ومرنا[1] عليه وصبرنا له . ولقد رأيتنى مع رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة خرجت من الليل أبول ، وإذا أنا أسمع بقعقة[2] شىء تحت بولى ، فإذا قطعة جلد بعير ، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم استفها[3] وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قال : إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله . ولقد كنا نغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة[4] وهذا السمر حتى أن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط[5] .

*****

مستجاب الدعوة :

عن جبير بن مطعم بن المقداد أن سعد قال : يا رسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى . قال : « يا سعد إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يطيب طعمته » . قال : يا رسول الله ادع الله أن يطيب طعمتى فإنى لا أقوى إلا بدعائك . قال : « اللهم أطب طعمة سعد » ، « اللهم استجب لسعد

---

(١) أعتدنا وداومنا .
(٢) حكاية حركة الشىء يسمع له صوت .
(٣) أى أخذتها غير ملتوتة .
(٤) بالضم وسكون الباء ، ثمر السمر ، وقيل : ثمر العضاه .
(٥) أى لا يختلط نحوهم بعضه ببعض لجفافه ويبسه .

إذا دعاك » . فكان سعد ليرى السنبلة فى القمح فى حشيش دوابه فيقول : ردوها من حيث حصدتموها .

وقد أكدت الأيام دعوات سعد المستجابة وذلك لأنه التمس الحلال من الرزق والطيب من الطعام ، وعرف الناس ذلك فكانوا يخافون إغضابه فى شىء حتى لا يدعو على أحد منهم ، كما كانوا يمرون عليه فى بيته يطلبون منه الدعاء لهم وللمرضى منهم فيستجيب الله لدعائه لهم .

عن جابر بن سمرة قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا : إنه لايحسن أن يصلى . فقال سعد : أما أنا فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ، صلاتى العشى لا أخدم منها ، أركد فى الأوليين وأحذف فى الأخريين . فقال عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق . فبعث رجالاً يسألون عنه بالكوفة ، فكانوا لايأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا قالوا خيراً ، حتى أتوا مسجداً لبنى عبس ، فقال رجل يقال له أبو سعدة : أما إذ نشدتمونا بالله ، فإنه كان لا يعدل فى القضية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يسير بالسرية ، فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً ، فأعم بصره ، وأطل عمره ، وعرضه للفتن . فقال عبد الملك : فأنا رأيته بعدُ يتعرض للإماء فى السكك . فإذا سئل كيف أنت ؟ يقول كبير مفتون

أصابتى دعوة سعد .

وعن مصعب بن سعد أن سعداً خطبهم بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة أى أمير كنت لكم ؟ فقام رجل فقال : اللهم إن كنت ما علمتك لا تعدل فى الرعية ، ولا تقسم بالسوية ، ولا تغدو فى السرية . فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً ، فأعم بصره ، وعجل فقره ، وأطل عمره ، وعرضه للفتن .

قال : فما مات حتى عُمى ، فكان يلتمس الجدران ، افتقر حتى سأل ، وأدرك فتنة المختار فقتل فيها .

وعن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علىّ ، فنهاه سعد فلم ينته ، فدعا عليه ، فما برح حتى جاء بعير ناد فخبطه حتى مات .

وفى أخريات أيامه أصيب سعد بالعمى فمر به بعض أصحابه يقولون له : يا سعد لقد دعوت لفلان وفلان وجمع كثير من الناس فاستجاب الله لدعائك ، ألا تدعو لنفسك أن يرد الله عليك بصرك ؟ فقال سعد : أعلم ذلك حقاً ولكن قضاء الله أحب إلى من رد بصرى .

*****

وصية النبى ـ ﷺ ـ لسعد حين مرض عام الفتح :

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : مرضت عام الفتح مرضاً أشفيت منه ، فأتانى رسول الله ـ ﷺ ـ يعودنى . فقلت : يا رسول الله إن لى مالاً كثيراً ، وليس يرثنى إلا ابنة ، أفأوصى بمالى كله ؟ قال : « لا » . قلت : فالشطر . قال : « لا » قلت : فالثلث . قال : « والثلث كبير » ، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ، لعلك تؤخر على جميع أصحابك ، وإنك لن تنفق نفقة تريد بها وجه الله إلا أجرت فيها ، حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك » قلت : يا رسول الله إنى أرهب أن أموت بأرض هاجرت منها : قال : « لعلك أن تبقى حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون ، اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولاتردهم على أعقابهم » .

*****

اعتزال سعد للفتنة :

اعتزل سعد بن أبى وقاص الفتنة التى حدثت ، فلا حضر الجمل ولا صفين ولا التحكيم .

قال سعد بن أبى وقاص : لما قتل عثمان ، اشكلت على الفتنة ، فقلت : اللهم أرنى من الحق أمراً أتمسك به ، فرأيت فى النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط ، فهبطت الحائط ، فإذا بنفر فقالوا : نحن الملائكة . قلت : فأين الشهداء ؟ قالوا اصعد الدرجات ، فصعدت درجة ثم أخرى ، فإذا محمد وإبراهيم ـ صلى الله عليهما وسلم ـ وإذا محمد يقول لإبراهيم : استغفر لأمتى . قال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، إنهم اهرقوا دماءهم ، وقتلوا إمامهم ، ألا فعلوا كما فعل خليلى سعد ؟

لذلك اعتزل سعد الفتنة ولم يشارك فيها ، ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة ، بل لزم بيته .

قال رجل لسعد : مع أى الطائفتين أنت ؟ قال : ما أنا مع واحد منهما . قال : فما تأمرنى ؟ قال : هل لك من غنم ؟ قلت : لا . قال : فاشتر غنماً فكن فيها حتى تنجلى .

*****

مرض سعد :

عن مصعب بن سعد قال : كان رأس أبى فى حجرى وهو يقضى ، قال فدمعت عيناى فنظر إلىّ فقال : ما يبكيك

أى بنى ؟ فقلت : لمكانك وما أرى بك . قال : فلا تبك على فإن الله لا يعذبنى أبداً وإنى من أهل الجنة ، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله .

قال : وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم فإذا نفدت قال ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له .

عن الزهرى أن سعد بن أبى وقاص لما احتضر ، دعا بخلق جبة صوف . فقال : كفنونى فيها ، فإنى لقيت المشركين فيها يوم بدر ، وإما خبأتها لهذا اليوم .

*****

موت سعد :

عن عائشة بنت سعد قالت : مات أبى رحمه الله فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، فحمل إلى المدينة على رقاب الرجال ، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة ، وذلك فى سنة خمس وخمسين وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة .

وكان سعد آخر من مات من المهاجرين رحمه الله تعالى .

*****